ر. د.م.د: ISSN 2437-0819-رقم الإيداع القانوني:6068-2014

المستشرقون وترجمة الأدب الأندلسي

المستشرق ايميليو غرثيا غومث وترجمة الشعر الأندلسي إلى الإسبانية

The Orientalist and the Andalusia Literature translation: The Orientalist Emilio García Gómez and the translation of Andalusia poetry to Spanish Model.

بابو كريم (طالب دكتوراه)

جامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال: 2018/02/15 **تاريخ القبول:2018/12/27**

الملخص:

يطلق الاستشراق على مجموعة الدراسات التي تنصب على العلوم أو الفنون أو الآداب المتعلقة بالشرق التي يقوم بها الباحثون الغربيون بصفتهم متخصصين في هذا المجال، فيقدمون بذلك صورة عن الشرق للمتلقي الغربيّ وغالبا ما تتدخل الإيديولوجيات والأحكام الذاتية في تلك الدراسات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالاستشراق الإسباني، وذلك نظرا للعامل التاريخي الذي جمع العرب والإسبان في عصر الأندلس فتعددت زوايا تلقي هذه الحقبة الزمنية بين الاستعمار والازدهار الحضاري، وللترجمة دور فعال في تجسيد تلك الرؤى ودعمها، حيث عرفت الترجمة نشاطاً كبيرًا في تلك الفترة لنقل ذلك الزخم الحضاري بأعمال المستشرقين الإسبان في شتى المجالات. ومداخلتنا تسلط الضوء على المجال الأدبي وبالتحديد الشعر. فالترجمة الأدبية تعمل على التعريف بالموروث الثقافي والأدبي للبلد، وأسمى لباس يظهر فيه الأدب هو الشعر، لكونه أرقى درجات التعبير وأجملَها. بيد أنه ههنا تزداد مهمة ترجمة الشعر تعقيدًا، نظرًا للقيود التي يصاغ بها سواءً على المستوى الدلالي حيث نجده مشحونًا بالبلاغة والخيال، أو على مستوى تراكيبه البنيوية المسبوكة بدقة لتحدث جرسا موسيقيا مما يزيده سحرًا ورونقًا. ومن المترجمين من يرفع التحدي لترجمة هذا النوع من النصوص ومن بينهم المستشرق الإسباني ايميليو غرثيا غومث وبالتحديد ترجمةُ الشعر الأندلسي الذي له خصوصية لكونه نُظم في إسبانيا وذلك ما أثار جدلاً حول أصله بين الإسباني والعربي. ونهدف من خلال هذا البحث إلى اكتشاف موقف المستشرق إميليو غرثيا غومث الذي يعكف على دراسة الشعر الأندلسي وترجمته ويلقب بعميد المستشرقين الإسبان.

الكلمات المفتاحية:

الترجمة - الشعر الأندلسي - الاستشراق - الموشح - الزجل.

Abstrat:

Orientalism defines a number of studies focusing on sciences or arts and literature related to the orient, these studies are carried out by western researchers specialized in this field, through which they give an image of the Orient to the western receiver. These studies are also often influenced by ideologies and personal judgment, especially when it comes to the Spanish Orientalism, due to the historical factor uniting Arabs and Spanish during the Andalusia Era, this period was perceived from many perspective such us colonialism and civilization prosperity. Translation played an active role to achieve and consolidate this vision. The translation was at its peak during the mentioned era as it allowed the transmission of the civilization momentum by Spanish Orientalists in different fields, our intervention shed light on literature, more precisely poetry. The literature translation defines literature and cultural heritage of the country, and poetry is the most beautiful degrees of expression, but this make the translation mission more complicated, giving the restrictions imposed by its elaboration at the significance level, as poetry is filled with rhetoric and imagination, or at the level of its magic and splendor. Some translators address the challenges posed by the translation of this kind of texts, such us, the Spanish Orientalist, Emilio Garía Gómez, precisely through the translation of Andalusia Poetry, which has the particularity of being elaborated in Spain, that led to the debate about its origin between Arabic and Spain. We aim through this research to discover the position of the Orientalist Emilio Garía Gómez who dedicated himself to the study and translation of Andalusia poetry and is known as the dean of Spanish Orientalists.

Key words:

Translation – Andalusia Poetry – Orientalism – Poetry to music (AL moushah) – Poetry (ALZajal).

مقدمة:

إن للشعر العربي الأندلسي خصوصيته لكونه نُظم في إسبانيا حيث يقف شاهدا على ذلك العصر، فيصف لنا الشاعر فيه الأندلس بحدائقها ويسرد لنا فيه خصائص تلك الحقبة بأسلوب جميل وإبداع. كما استحدث الشعراء أنواعا شعرية جديدة أثارت اهتمام حتى الأوروبيين، وخلقت نوعا من الجدل حول أصلها بين العربي والإسباني. لأن المجتمع الأندلسي آنذاك كان يتكون من مزيج من الأجناس العربية والعجمية. والمستشرق إيميليو

غرثيا غومث Emilio García Gómez يعكف على دراسته وترجمته، حيث سنرى دوره في التعريف بالشعر الأندلسي في الغرب من خلال أعماله. سنتطرق لظاهرة الاستشراق وعلاقتها بالترجمة، ونسلط الضوء على خصائص الشعر الأندلسي. حيث سنعتمد على المنهج التحليلي النقدي لتحليل مواقف المستشرق ونقدها والتي نلتمسها في كتبه ومن بينها كتاب "**الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه**" أنموذجًا، ترجمه حسين مؤنس إلى اللغة العربية.

الاستشراق:

أيسر التعريفات المقبولة للاستشراق هو أنه مبحث أكاديمي، بل إن هذا المفهوم لا يزال مستخدما في عدد من المؤسسات الأكاديمية، فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء لبحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة، والاستشراق إذن وصف لهذا العمل. (1)

الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق" وبين ما يسمى (في معظم الأحيان) "الغرب"...فإذا اعتبرنا أواخر القرن الثامن عشر نقطة انطلاق عامة إلى حد بعيد، استطعنا أن نناقش ونحلل الاستشراق بصفته المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق- والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه: وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبا غربيا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه. (2)

الاستشراق علم يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم... ويدخل ضمن معنى الشرق أية منطقة شرقية، لكن (المصطلح) يعني هنا ما له علاقة بالدراسات العربية أو اللغات التي تؤثر فيها العربية كاللغات الفارسية والتركية... وقد بدأت الدراسات تتسع وتستقل حتى أصبح لكل منطقة من المناطق تسميتها فبدأ بعضهم يدعو دراسة اللغة العربية وشؤون العرب بالدراسات العربية ويدعو المستشرقين المتخصصين في العربية (المستعربين). (3)

إذ يقول نيكولاس روزر نيبوت Nicolás Roser Nebot عن الاستشراق:

El paradigma orientalista ha sido, hasta el momento, la única fórmula que Occidenteha perfilado para la recepción del Islam. Ello condiciona el

conocimiento que se tiene de su realidad ideológica y de civilización. Y también, por supuesto, la traducción de los textos autoritativos del Islam, en particular el Corán. (4)

"يحدد الاستشراق حقيقة الإسلام الإيديولوجية والحضارية، لأنه يمثل الصيغة الوحيدة التي يتلقى الغرب من خلالها الإسلام إلى حد الآن. كما تؤثر كذلك ترجمة النصوص الإسلامية الرئيسية خاصة القرآن." ترجمتنا

نلاحظ أهمية الاستشراق ودوره في التعريف بالشرق أي العرب والإسلام للمتلقي الغربي. لذلك علينا أن نكون على دراية بما يكتب عنا وبما يترجم من أعمالنا.

نبذة عن المستشرق إيميليو غرثيا غومث Emilio García Gómez :

بعد أن توفي أنخل بالنثيا في أواخر سنة 1949، أصبح الأستاذ الدكتور إميليو غرثيا غومث عميد المستشرقين الإسبان، فهو عضو الأكاديمية الملكية الإسبانية Academia Española La Real وأستاذ الأدب العربي في جامعة مدريد. ورئيس تحرير صحيفة Al-Andalus أكبر وأوفى صحيفة علمية مخصصة للدراسات الخاصة بتاريخ الإسلام وحضارته في غرب البحر الأبيض المتوسط. التحق بقسم الدراسات العربية في جامعة مدريد سنة 1918 وتتلمذ على خوليان ريبيرا وميجيل إسين بالاثيوس. تخرج في سنة 1922 فمنحه " مجلس تشجيع الدراسات" بمدريد" La Junta para Ampliacion de Estudios , Madrid" مكافأةً دراسية كان الدوق دى ألبا قد خصصها للمتفوقين في الدراسات العربية. أرسله المجلس في مهمة دراسية إلى مصر فأقبل إليها وقضى سنتي 1922 و1923 في القاهرة، إلا فترة قصيرة منهما قضاها في بيروت ودمشق. وقد تتلمذ خلال هذه الفترة على يد المرحوم زكي باشا شيخ العروبة وحضر ندواته الأدبية. وحضر دروسا على الدكتور طه حسين في الجامعة المصرية القديمة، وإلى هذه الفترة يرجع تمكنه التام من اللغة العربية وفهمه للأدب العربي. فلما عاد إلى مدريد تقدم لامتحان الدكتوراه ببحث عسير في الأدب المقارن عن "أسطورة الإسكندر"، وحصل عليها بدرجة شرف ممتازة فأختاره خوليان ريبيرا أستاذًا للأدب العربي آنذاك في جامعة مدريد، ومدرسًا في كلية الآداب بنفس الجامعة في مادة تخصصه وهي اللغة العربية وآدابها. وفي سنة 1930 نشر أول بحث كبير له جعل موضوعه نصا لأسطورة الإسكندر مكتوبا بلغة المدجنين Los mudejares.

فنشر هذا النص وترجمه مع تحقيق شامل في أصول هذه الأسطورة تحت عنوان:Un texto arabe occidental de la leyenda de Alejandro "نص عربي غربي عن أسطورة الإسكندر" فاستحق عليه جائزة فاستنراث Fastenrath Premio لسنة 1930. وهي جائزة تمنحها الأكاديمية الملكية الإسبانية كل عام لأحسن بحث علمي. وفي نفس السنة اختير أستاذًا للغة العربية في جامعة غرناطة، فأحيا الدراسات العربية في هذه الجامعة بعد طول ركود. وأنشأ في غرناطة فرعًا لمدرسة الدراسات العربية في مدريد وقد أصبح هذا الفرع مدرسة قائمة بذاتها الآن: "La Escuela de Estudios Arabes de Granada " ولقد أنتدب للتدريس بجامعة باريس وتولوز وبوردو أكثر من مرة. وهو شاعر معروف في إسبانيا ويترجم الشعر العربي وينشره في المجلات الأدبية السائرة. وهو لا يكف عن دراسة هذا التراث وتحليله، وهو معنى منذ سنوات بوضع نظرية جديدة عن الموشحات الأندلسية. ومن آخر أعماله الترجمة البديعة التي نشرها لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي. مقدما لها بأوفى دراسة عن الطوق وصاحبه وممهدًا لها بدراسة عن الطوق بقلم أعظم مفكري الإسبان المعاصرين الفيلسوف خوسيه أورتيغا إيغاست.

له العديد من المؤلفات حول التاريخ والأدب العربي قديما وحديثا، وترجم الكثير من النصوص العربية إلى الإسبانية منها تحقيق وترجمة لكتاب "رايات المبرزين" لابن سعيد المغربي، ورسالة الشقندي في فضل أهل الأندلس الواردة في كتاب نفح الطيب للمقري و"الأيام" لطه حسين (1954). كما ترجم شعر العديد من الشعراء الأندلسيين مثل ابن الزقاق وابن زمرك. وكتب بحوثًا مهمة حول قصر الحمراء في غرناطة مثل "قصائد عربية على جدران الحمراء" و"أضواء قديمة على قصر الحمراء". قام باحثون عرب بترجمة بعض كتبه مثل كتاب "شعراء الأندلس والمتنبي" الذي ترجمه إلى العربية الطاهر أحمد مكي و"الشعر الأندلسي" الذي ترجمه حسين مؤنس.

مؤلفاته :

- Un texto árabe occidental de la leyenda de Alejandro.
- Qasidas de Andalucía, puestas en verso castellano.
- Cincopoetas musulmanes.
- Poesía arábigoandaluza, breve síntesis histórica.
- Las jarchas romances de la serie árabe en su marco.
- Poemas árabes en los muros y fuentes de la Alhambra..Poesías / Ibn Al-Zaqqāq ; edición y traducción en verso del árabe.

خصائص الشعر الأندلسي:

انتشرت اللغة العربية في بلاد الأندلس مع الفاتحين ومع مرور الوقت أصبحت لغة سكان الأندلس وما جاورها، ولما كان الشعر متأصلا في العرب فقد عبر معهم البحر إلى البلد الجديد وانتشر فيه، وطغت عليه الصفة التقليدية العربية في البدء ثم بدء التأثر في المجتمع الإسباني والطبيعة الأندلسية الجميلة فتحولت الأندلس إلى جنة في الأرض. (5)

فتطورت معانيه فكان ظهور الموشح الجديد في الشعر العربي وكذلك ظهور الزجل تبعا لما اقتضته طبيعة المجتمع هناك وحاجته إلى إيجاد فن الغناء وموسيقى تنسجم معه. فترنم الشاعر الأندلسي بكل ما يحس به وما تفرضه عليه ظروف الحياة الحلوة الجميلة، والطبيعة الغناء من ابتكار في المعاني ورقتها وانتقاء الكلمات الخفيفة الرقيقة في النفس المؤثرة في الآخرين. فكان هناك أسلوب رصين متين بنى عليه الشعراء قصائدهم، ودخلت عليه بعض الكلمات الغريبة إلا أنه بقي جزل العبارة فخم اللفظ شديد البناء. (6) تطور الأسلوب الشعري الغنائي أولًا ومال الشعراء إلى التحرر من القيود الشعرية والانطلاق منها، فكانت هناك قصائد في الشعر ذات الأسلوب السهل والتفعيلة القصيرة، أو قد قطعت تفاعيل الخليل إلى النصف في بعض الأحيان أو إلى الربع. فظهر الموشح واقتبسه الغربيون بعد عشرات السنين (7) وكذلك الزجل الذي هو نوع من الإنشاد العربي القريب إلى اللهجة العامية أو هو شعر سهل الألفاظ، يحسبه السامع أنه من اللهجة العامية لسهولته وتطويعه القريب في الغناء، وأبو بكر بن قزمان هو أول من أنشد وتغنى به في القرن الخامس الهجري.(8)

الموشح والزجل الأندلسي:

لقد درس الدكتور محمد عباسة الموشحات والزجل بالتفصيل وتأثيرها في شعر التروبادور في كتابه "الموشحات والأزجال الأندلسية وتأثيرها في شعر التروبادور". فيقول في هذا الصدد "نظم الشعراء الموشح على نظام المقطوعات الشعرية بصفة محكمة، وابتكر الوشاح أوزانا جديدة كما أدخل ألفاظا عامية وعجمية على القسم الأخير من الموشحة. وفي أواخر عصر الخلافة استحدث الشعراء الأندلسيون فنا آخر هو الزجل، الذي نظموه على منوال الموشحات لكن بلغة مجردة من الأعراب. وكل ذلك ظهر نتيجة اختلاط الأندلسيين وتسامحهم فيما بينهم. الأمر الذي أفضى إلى هذا التنويع الثقافي." (9) وكمثال

على الموشح أشار إلى أبسطهم في تركيبته وهو للوزير أبو بكر بن زهر الحفيد الأندلسي(10) وأرفقته في نفس الوقت بتسمية أجزائه كما يلي:

المطلع: حي الوجوه الملاحا وحي نجل العيون

سمط: جزء من البيت. هل في الهوى من جناح أو في نديم وراح رام النصيح صلاحي **بيت**

القفل : وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمجون **أغصان: أجزاء القفل.**

أبكي العيون البواكي

تذكار أختي السماك

حتى حمام الأراك

القفل: بكى شجوني وناحا على فروع الغصون

ألقى إليها زمامه

صب يداري غرامه

ولا يطيق إكتتامه

القفل: غدى بشوق وراحا ما بيت الشتى الضنون

يا غائبا لا يغيب

أنت البعيد القريب

كم تشتكيك القلوب

القفل: أثخنتهن جراحا فاترك سهام الجفون

يا راحلا لم يودع

رحلت بالأنس أجمع

و الفجر يعطي ويمنع

الخرجة: مرت عيناك الملاحا سحرا فما ودعوني

و من الأمثلة على الزجل الذي فيه ألفاظ عجمية أو أندلسية محلية قول ابن قزمان:

يا مطر ننشلباط وا حسرتاه كم أنا مهموم

تن حزين تن بناط **معنى القصيدة:** ما أحزنني وما أشقاني

ترا اليوم وشطاط ترى اليوم وطوله

لم نذق فيه غير لقيمة لم أذق فيه غير لقيمة(11)

وفي زجل من أزجاله يصور لنا حواره مع رومية فأجابته قائلتا:

قالت: اشت كراي او نمار بمعنى: هذا الذي وددت أن أسميه

وأشار الكاتب أن مثل هذا الحوار أوهم بعض المستشرقين بأن الزجالين أخذوا مقطوعات من أغاني عجمية نسائية وبنوا عليها أزجالهم.(12)

جدلية الشعر الأندلسي:

أثار الشعر الأندلسي جدلا بين العرب والإسبان حيث هناك من الإسبان من يريد أن يضمه لأدبهم لكونه قد نظم في بلادهم، بالإضافة إلى وجود بعض الألفاظ العجمية في آخر القصيدة. ومن بينهم المستشرق الإسباني إميليو غرثيا غومث Emilio García Gómez الذي يهتم بهذا الموضوع ويدعم هذه النظرية. فمعظم مؤلفاته تنصب في هذا الخصوص أو في ترجمة أعمال تنتمي إلى هذا العصر. حيث تطرق إلى هذا الجدل في ترجمته لكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي كما أشار أن هناك علاقةً بين الشعر الأندلسي وشعراء التروبادور قائلا:

"…al apogeo de la polémica internacional que, sobre las tesis de don Julián Ribera, se venía sosteniendo sobre las relaciones entre la poesía medieval arábigoespañola y la de los primeros trovadores provenzales ." (13)

"...ذروة الجدل الدولي حول أطروحة السيد خليان ريبيرا، التي تؤكد وجود علاقة بين شعر القرون الوسطى الأندلسي وشعر أوائل التروبادور البروفنسيون." (ترجمتنا)

ويعتبر ابن حزم إسبانيًا ولاحظنا تلاعبه في ترجمة شعره. وعندما تصفحنا كتابه المعنون بـ"الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه" ترجمه من الإسبانية المترجم المصري **حسين مؤنس**، حيث تظهر فيه جليا نظرته للشعر الأندلسي والأدب العربي عامة . فيصفه بسلبية كبيرة وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

" ظل العرب منزوين في جزيرتهم مجهولين من الناس - كأنهم كانوا يعيشون في ركن خفي من هذا الكوكب- حتى أتاهم داعي التاريخ إلى دخول مسرح الحوادث. ولقد كان العرب كالسهام ... ولكنها كانت سهاما قصيرة المرمى إذ ران عليها الصدأ في رمال الصحراء...يسمي العرب ما كان قبل الإسلام من تاريخهم "بالجاهلية" أي عصر الجهل والحمق وفي الواقع لم يكن في حياة أولئك الجاهليين من شيء طيب كامل غير الشعر والحب. وإن من يقرأ المعلقات أو "كتاب الأغاني للأصفهاني أو أي مجموع من الأشعار الجاهليين لا يلبث الدهش أن يملك عليه نفسه. ولقد كانت صحراؤهم الواسعة بحرا..."(14)

"لابد أن ننبه من أول الأمر إلى أن الشعر الأندلسي عامة – فيما خلا بضع شواذ – فقير جدا من الناحية الذهنية التفكيرية." "و لم يكن الشعر الأندلسي مترعا بالأخيلة فحسب بل كان مثقلا بها حمل منها فوق ما يطيق. بل بلغ من حشد المعاني فيه أن استعصى معظمه على الحفظ والبقاء وكاد يعسر على الفهم الكامل." (15)

كما ركز على الجانب السلبي وينسبه إلى الأدب العربي بينما مر مرور الكرام على الشعر الجميل ويعتبر أولئك الشعراء إسبانًا ومنهم ابن حزم قائلا "...شخصيتان عظيمتان من أظهر أعلام الثقافة الأندلسية هما أبو عامر ابن شهيد وأبو محمد ابن حزم... الذي عرف وطنه –إسبانيا- ... "(16)"وأحسن تواليفه في هذه الناحية كتابه عن الحب المسمى "طوق الحمامة "... وهو طاقة زهر أريجة من الأقاصيص ومقطعات الشعر والتحليل النفسي الخلقي للحب... فأما أولهما فمن فحول شعراء الإسبان[1]..." يريد هنا أن ابن خفاجة يعد من فحول شعراء إسبانيا (17). لكنه يصف شعرهم بأنه غير أصلي بل يقلدون غيرهم في قوله " ففي شعرهم تتجلى قلة الصدق أو بلفظ أصح: يغلب التقليد والجري على المألوف المطروق بأكثر مما نجده في آداب غيرهم من الأمم..." (18)

كما ينتقد نظرتهم إلى المرأة والجمال في قوله " إعجاب مفرط بالجمال البدني المحسوس وربما كان ذلك من الخصائص المميزة للعقلية العربية... وقد كان الوضع الخاص للمرأة في المجتمع الإسلامي سببا في قلة فهم الناس للجانب النفسي من حياتها وخصائصها..." (19) " التشبيه عندهم يهبط عادة بالأشياء عن درجاتها: يشبهون الإنسان بالحيوان والحيوان بالزهر والزهر بالأحجار الكريمة... وهذه هي فكرة الإسلام عن العالم وما فيه: كله ذاهب زائل لا يستحق عناء الوقوف عنده." (20)

ويقول بخصوص الموشح والزجل: "فقد قدمت إسبانيا للإسلام فنها الشعري الخاص بها وهو فن الأزجال والموشحات التي درسها "خليان ريبيرا Julian Ribera". وأما الإسلام فقد أعطى الأندلس الشعر القديم شعر القصائد الذي نشأ في الصحراء" (21) ويصرح كذلك أنه قام بتغيير النصوص الأصلية في قوله "... جمعتها ونقحتها وزدت عليها ... وقد وجدت نفسي مضطرا في بعض الأحيان إلى حل التشبيهات وإيرادها في نثر إسباني واضح. وما أبعد الترجمات عن الأصل رغم هذا الجهد كله! ...و بحسبي أن أذكر القارئ بما قاله القدماء في حكمتهم: لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ." (22)

وحتى المترجم المصري لاحظ تلاعبه بالنصوص الأصلية حيث قال في مقدمة ترجمته لكتاب المستشرق:

" ولابد من الإشارة أن المؤلف لم يورد أبيات القصائد -في كل حالة - بحسب توالها في الأصل بل ترك في كثير من الأحوال بعض أبيات الأصل ولم يورد إلا والغاية التي رمى إليها من جمع هذا المجموع ... ولاحظت أن هناك خلافا بين نص الأبيات في " **الرايات** " ونصها في المرجع الذي أشار إليه " (23)

بينما عندما تصفحنا كتاب آخر للمستشرق الألماني أدولفو فيدريكو Adolfo Federico de schackبعنوان "شعر وفن العرب في إسبانيا وصقلية " "Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia" مترجم إلى اللغة الإسبانية فيظهر الفرق جليا، حيث يبدي إعجابه بالأدب العربي عامة وبالشعر خاصة، كما يعترف بتمكن العرب في هذا المجال منذ عصر الجاهلية قائلا:

"…entre aquellos hijos del desierto, en medio de su vida de forajidos, llena de peligrosas aventuras y continuos azares,tomo asiento el arte de la poesía…alcanzo este arte una perfección que jamás, en épocas de la cultura más refinada, ha sido excedida, ni en la exquisita elegancia del lenguaje, ni en la exacta observancia de las complicadas y rigurosas reglas del metro…”(24)

"...استحوذ فن الشعر على مكانة كبيرة في وسط حياة أبناء الصحراء، المليئة بالمغامرات الخطيرة والصدف... بلغ هذا الفن درجة من الكمال لم تعرفها حتى العصور التي كانت الثقافة فيها في أوجها، سواء في فصاحة لغتها الفريدة أو في دقة مراعاتها للقواعد العروضية المعقدة والصارمة..." (ترجمتنا)

ويصرح أنه لم يتطور في عصر الأندلس كما يقول إميليو غرثيا غومث بل على العكس فقد الشعر فصاحته وأصبح يكتب بالعامية. (25) حيث تحررت القصيدة من قيود الوزن والقافية الموحدة اللذين كانا ركيزتين أساسيتين في بناء القصيدة العربية وفيهما تكمن صعوبة كتابة الشعر العربي. كما يشير إلى تلاعب الإسبان بالنصوص الأصلية العربية في ترجماتهم في قوله:

"…según el gran orientalista holandés irrefragablemente atestigua,Conde, tenido por durante tanto tiempo por principal autoridad en este asunto,ha dado, por traducción de historiadores arábigos , trozos mutilados de crónicas latinas, y , cuando realmente traducía un texto oriental, le entendía tan poco, que no raras veces convertía en dos o tres a un individuo solo, trocaba el infinitivo en nombre propio, hacia morir a muchos hombres antes de que naciesen, y ponía en escena personas que nunca existieron. Con todo, el libro de este español ha sido, hasta nuestros días, el fundamento de cuanto se ha escrito sobre los árabes de España… " (26)

"وفق ما يشهد به المستشرق الهولندي قطعيا، أن "كوندي" الذي كانت له خلال مدة طويلة سلطة رئيسية في هذه القضية، قدم ترجمات لمؤرخين عرب، فقرات مشوهة ليوميات لاتينية، وعندما كان بصدد ترجمة نص شرقي، كان لا يفهم إلا بعضه، ففي معظم الأحيان يحول فرد واحد إلى اثنين أو ثلاثة، ويحول كذلك صيغة المصدر إلى أسماء، كما يقتل عدة أشخاص قبل ولادتهم ويقحم في المشاهد شخصيات لم تكن هناك أبدا. رغم كل ذلك، كتاب ذاك الإسباني يمثل مصدرًا ومرجعًا لكل ما كتب عن عرب إسبانيا إلى يومنا هذا..." (ترجمتنا)

لكن نجد المترجم الإسباني للكتاب يبدي في مقدمته مخالفته لما ذهب إليه المستشرق الألماني وفيما يلي مثال لموقف المترجم الإسباني:

"…quien la leyere traducida por mí,y sin advertencia alguna, podrá pensar que coincido con el autor en opiniones, que no son las mías. Ni yo soy tan entusiasta, como él, de los árabes, ni denigrador, como él, de los arabistas españoles… En los árabes veo poco o nada original, y no hablo del carácter, sino de la inteligencia, salvo la poesía ante -islámica, barbará y ruda por los sentimientos, refinada, culterana y hasta pedantesca por el estilo, y falta de todo ideal…Traduzco, pues, el libro de schack, porque la poesía y el arte de los árabes en España nos pertenecen en gran manera; deben más bien llamarse poesía y arte de los españoles mahometanos…"(27)

"من يقرأ أني مترجمها وبدون أي تحذير، قد يفكر أنني أشاطر المؤلف آراءه، التي لا تنسب لي. فلست مثله شغوفًا بالعرب ومسيئًا للمستشرقين الإسبان...لا أجد لدى العرب أي شيء أصلي، وإن وجد فهو قليل، لا أقصد الشكل بل الذكاء، باستثناء شعر الجاهلية البربري وقح المشاعر المكرر المثقل ومتحذلق الأسلوب، يخلو من أي شيء مثالي...أترجم إذا كتاب السيد "شاك" لأن شعر العرب وفنهم في إسبانيا ينتمي إلينا بشكل كبير، كان من الأجدر تسميته شعر وفن الإسبان المسلمين..." (ترجمتنا)

الشعر الأندلسي وأثره في الشعر الغربي:

تفند الدراسات أن يكون الموشح والزجل ينتميان إلى الأدب الإسباني كما بينه محمد عباسة، بصفته دكتورًا في الأدب المقارن قائلا "لم تكتب خرجات الزجل بالرومانثية كما يذهب هؤلاء المستشرقون، وكل ما في الأمر أنه وجدت بعض الألفاظ في ثنايا أزجال ابن قزمان لا علاقة لها بالوزن والقافية وهي ألفاظ تعود الأندلسيون على استخدامها في حديثهم اليومي مع أفراد النصارى."(28) ويبرهن بالحجج التاريخية أن العرب هم الذين أحدثوا هذه الأنماط الشعرية وأشار أن أدباء العرب والمؤرخون يتفقون على أن الشعر العربي هو أول نظم عرف القافية في التاريخ (29) كما صرح به Javier Gomez Montero في قوله:

"Toda una operación colectiva de acomodación, por parte de estos poetas renacentistas, de transculturalidad, que incluyo soluciones tan variadas como, por una parte, la introducción de la rima (desconocida, como es bien sabido, por la poesía clásica latina..." (30)

" كانت عملية تثاقف واستيعاب جماعية من طرف شعراء عصر النهضة، التي تضمنت حلولًا متنوعة مثل إدخال القافية في الشعر، ذلك من جهة (التي كان يجهلها الشعر اللاتيني الكلاسيكي، كما هو معلوم..." (ترجمتنا)

وشعراء التروبادور هم اللذين قاموا بمحاكاة الشعر العربي "... وقد حاكاهم البروفنسيون منذ التروبادور الأول الكونت غيوم التاسع الذي كان يستخدم فقرات برمتها بلغة غير مفهومة ضمن قصائده...تعود الشعراء البروفنسيون على تذييل قصائدهم بقفل يسمى (finida) بمعنى الخرجة ... ولم يعرف الشعر الأوربي الخرجة قبل شعراء التروبادور الذين عاصروا أشهر الوشاحين والزجالين الأندلسيين "(31)

كما نجد مصطفى داودي في كتابه بعنوان " الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية الحديثة " قد تطرق بالتفصيل إلى دور الترجمة في ذلك العصر مستدلا بالشواهد، ومنها قول روسكين جب " ولعل خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر القرون الوسطى ونثرها، باعتبار أن الاحتكاك المباشر الذي حدث في الأندلس بين أهلها المسلمين والأوربيين كان له أبلغ الأثر في نشوء ما يعرف بالأدب الأوروبي. بل إن الفترة الممتدة بين (1250- 1400م) كان أثر الأدب العربي فيها كبيرا على الأدب الإسباني، حيث فتحت أبواب العلوم الشرقية وأقاصيصها على مصراعيها لتغترف منها إسبانيا ومن ورائها أوروبا على حد سواء، وفي ذلك قال البروفيسور (ماكيالMackial) : "إن أوروبا مدينة بأدبها الروائي إلى بلاد العرب " (32)

لقد كان للشعر العربي فضل كبير في قيام الشعر الجديد بأوروبا، حيث اجتاحت أوروبا بين (1100-1300 م) موجة من التعبير الأدبي بالشعر العامي - الغنائي والقصصي - والذي وصفه السير (جب) بأنه يتميز بصفات نفسية اجتماعية جديدة وتصور خيالي فني جديد ليس له دليل يشهد بأنه تطور محلي، بل إنه لا شبيه له إلا في الشعر العربي سواء في القافية والترتيب والتنظيم، باعتبار أن الشعر الكلاسيكي الأوروبي لم يوجه عنايته إلى القافية بل اكتسبها اكتسابا عن العرب. (33)

مظاهر تأثر الشعر الغربي بالشعر الأندلسي:

- في إسبانيا:

تطرق محمد عباسة كذلك إلى مظاهر تأثر الإسبان بالشعر الأندلسي قائلا "تأثر شعراء شمال إسبانيا المسيحي بالموشحات والأزجال الأندلسية وكان للأعاجم المسلمين الفضل في نقل خصائص الشعر العربي بلغتهم إلى الشمال ومنه إلى بقية أنحاء أوروبا... وأما "أغاني الحبيب" (Cantigas de amigo) التي اشتهروا بها فقد تأثروا فيها بموضوع "شكوى الفتاة " الذي يرد في خرجات الموشحات الأندلسية بالعربية والعجمية والعامية ومواضيع أخرى كالمقامات والتصوف والفروسية." (34)

و من تأثر أشعار التروبادور بالشعر العربي أننا نجدها مثل الشعر العربي تدور موضوعاتها حول الحب العذري وهو ما أطلق عليه في إسبانيا حب المروءة والتمجيد للحب الروحي الذي تميزت به الآثار الشعرية الأوروبية، وانتشر في أوروبا اللفظ القائل "إن المحب لمن يحب مطيع "، وهو الموقف الذي سبق أن قام بإيراده وتحليله ابن حزم في كتابه طوق

الحمامة، كما أن العرب يسلكون حيال المحب التقدير والاحترام ويخاطبون الأنثى بصفة المذكر كقولهم "سيدي ومولاي وحبيبي" والشعراء التروبادور يسلكون هذا الأسلوب، فكانوا يقولون "mio cid" أو"Midons" بدلا من سيدتي "Ma donna". بالإضافة إلى الاشتراك بين الشعرين في الهيام والمدح والأساليب الشعرية. وقد وجدنا بأن ثلاثمائة وخمسة وثلاثين قطعة شعرية من الشعر الشعبي الأندلسي هي من أصل أربعمائة قطعة شعرية يتألف منها مجموع أناشيد الفونسو الحكيم. والذي كانت له واحدة من أعظم المجاميع الشعرية في القرون الوسطى ألا وهي "أناشيد ومدائح العذراء مريم Contigar de seanta maria وهي محفوظة في مكتبة الأسكريال وبلهجة جليقية(gallego)، وكانت موسيقى هذه الأناشيد أندلسيةً إسلاميةَ الأصل وصياغتها أشبه بالموشح والزجل.(35) كما نجد **إميليو غرثية غومث** قد تطرق في مقدمة ترجمته لكتاب "طوق الحمامة لابن حزم "إلى تأثر الأدب الإسباني بالأدب العربي قائلا:

…Lo que si concedo, porque me parece evidente, es que el poema del "Arcipreste de Hita no puede ser entendido sin multitud de supuestos árabes "(36)

" الأمر الذي أصدقه لأنه يبدو لي واضحا، هو أن شعر "أرثي بريست دي إيتا" لا يمكن فهمه دون الكثير من الاعتبارات العربية" (ترجمتنا)

و يذكر أن أساتذته يعترفون بتأثير الشعر العربي في الشعر الأوروبي حيث يقول:

"…el discurso académico de mi maestro D. **Julián Ribera**, se viene sosteniendo ya por muchos lustros sobre el influjo de la poesía árabe en los albores de las románicas, particularmente la provenzal, tenida hasta ahora por la primera de todas, y en el brusco cambio de la psicología amorosa que representan movimientos como el del "**amourcourtois**" o el del "dolcestilnuovo …" (37)

"يؤكد الخطاب الأكاديمي الذي ألقاه أستاذي الدكتور خوليان ريبيرا منذ عقود، على تأثير الشعر العربي على الإرهاصات الرومانية وبالخصوص البروفانسية التي كانت لها الأسبقية إلى يومنا هذا، وذلك في التغير المفاجئ في تصورهم للحب، الذي تمثله تيارات مثل " الحب العذري" أو "حب المروءة "..." (ترجمتنا)

لكن هذا لا يعني أنه يعترف بذلك ويشاطرهم الرأي رغم كونه قد تتلمذ على أيديهم فهم أساتذته بل على العكس من ذلك فهو ينفي ذلك تمامًا كما رأينا سالفا.

- في فرنسا:

شاع الشعر الغنائي في فرنسا الذي كان ينظمه أو يرتجله الشعراء الجوالون في الجنوب (التروبادور) والشعراء الجوالون في الشمال (التروفير) وهم أشبه ما يكونون بشعراء المواويل الشعبية، كذلك اشتهر (كرينا ندي تروا) (1135-1183 م) بما نظمه من فصول ملحمية شعرية باللغة الفرنسية العامية، وفي نفس الفترة اشتهرت ملحمة رولان التي نظمت بين (1100-1125 م) وهي عن مغامرات فرسان شارلومان وملاحم أبطال الفرنجة مع أبطال العرب في جنوب فرنسا والبرانس، وسيرة الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة ثم تلك الملحمة الروحية العجيبة (أغنية الوردة) التي بدأها (جويون دي لورس) نحو عام (1236 م) وأتمها (جان دي مانج) بين سنوات (1240-1305م) ويقال أنه أكملها بين 1275-1280 م.(38)

والملاحظ أن هذه الأشعار العامية هي شبيهة شديدة الشبه بأشعار المواويل الغنائية والموشحات الموروثة على المسلمين. إذ نجد بأن هذه السير والملاحم هي أشبه ما يكون بتغريبة بني هلال وسيرة عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن والأميرة ذات الهمة، والزير سالم والظاهر بيبرس التي ورثها الأوروبيون عن العرب. وبدت بذلك الأشعار الأوروبية تنظم على أسس الأوزان الشعرية العربية. ويظهر ذلك جليا في أشعار (فرنسيس الاسيزي Franz von assissi) ودانتي (Dante) وفراجا كابانا دا تودي (Frajacapane de todi) ومديتشي (Lorenzo de medici) وميكيافلي (Machiavell).

كما يلاحظ كذلك أن جل تلك الأشعار التي كانت أساسا وتحفة تميز النهضة الأدبية في أوروبا مثل الخرافات الغنائية (Chante Fable)، قد كانت متأثرة بالملاحم العربية الشعبية والموشح العربي الذي يرجح أن مبتكره هو (مقدام بن معافى الضرير)(840 و912 م) كما تأثر بالزجل العربي وهذان النوعان من النظم اللذان ابتكرهما أهل الأندلس، هما اللذان أثرا في نشأة الشعر الأوروبي، وأول من قال بهذه النظرية هو (خليان ريبيرا Julian ribera)، المستشرق الإسباني الذي عكف على دراسة موسيقى الأغاني الإسبانية ودواوين الشعراء (التروبادور والتروفير) وهما الشعراء الجوالون في العصور الوسطى والمينسينجر (Minne sanger) (شعراء الغرام). وأكد على المؤثرات الشعبية في الشكل والغرض والأسلوب في الشعر الأوربي، ويؤكد المستشرق ليفي بروفنسال على وجود المؤثرات العربية

الأندلسية في الشعر الأوروبي المعروف باسم التروبادورTrovbadours الذي ظهر في وسط وجنوب فرنسا وفي شبه الجزيرة الأوروبية وإيطاليا. (39)

- **في إنجلترا :**

تأثر شعراء إنجلترا أمثال جيفري تشوسرGeoffrey chauser أبو الشعر الإنجليزي في "حكايات كانتربري" وجوهن ليدجيتJohn lydgate بالثقافة العربية وهما من الشعراء المبكرين الذين أثروا في حركة الشعر الإنجليزي فيما بعد، وبات شعرهم أساسا بني عليه الأدب القومي الإنجليزي. ومن المؤثرات العربية التي تأثر بها هي كتاب "سراج الملوك " لابن أبي رندقة الطرطوشي وأن اقتباسهما منه لم يقتصر على الخطوط العامة أو بعض اللمحات بل هناك فصول كاملة منقولة عن الترجمة اللاتينية لكتاب سراج الملوك. وذكر نقاد الأدب أن الشاعر الإنجليزي جون ملتونJohn milton قد تأثر أيضا برسالة الغفران للمعري وظهرت آثارها في ملحمة "الفردوس المفقود Paradise lost.

و منه مثلما ذكر" قوستاف كوهن" بأنه من المستحيل المبالغة في الاعتقاد بنشأة شعر أوروبي بصفة ذاتية ومحلية، بل إن الشعر البروفنسي المتأثر بالشعر العربي في مجال المشاعر أو الفن وأنه بغير هذا الشعر لا يمكن تعليل ظهور الشعر الإيطالي أو الشعر الإسباني أو الإنشاد الألماني أو الشعر الرقيق في شمال فرنسا. (40)

خاتمة:

خلال هذا البحث تعرفنا على الشعر الأندلسي وأهم خصائصه. كما تطرقنا إلى الجدل الذي أثاره المستشرقون فيما يتعلق بالموشح والزجل الذي أستحدثه شعراء ذلك العصر. رأينا كذلك أن الشعر العربي الأندلسي لقي صدىً كبيرًا امتد إلى خارج إسبانيا فاجتاح أوروبا، وهذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على أهميته وجماله لذلك لقي هذا الاهتمام والتلقي والجدل الكبير. وذلك لم يكن ليحصل لولا الترجمة وهذه نقطة إيجابية حول ترجمة الشعر. كما اكتشفنا كذلك موقف المترجم المستشرق الإسباني **إميليو غرثيا غومث** García Gómez Emilio بخصوص الأدب العربي عمومًا والشعر خاصة بصفته عميد المستشرقين الإسبان ويعكف على دراسة وترجمة الشعر الأندلسي لكن هذا لا يعني تعميم هذه الظاهرة على كل المستشرقين. كما نلاحظ أهمية قراءة ما يترجم من أعمالنا لأن الترجمة ليست دائما بدافع الإعجاب. قد تكون مدسوسةً فيها نوايا أخرى في حالة

خضوع المترجم إلى إيديولوجيته فيعمل على أن يكون تلقي العمل وفق ما يذهب إليه، فتتحول الترجمة من فن غايته التقريب بين الثقافات إلى علم يسخر كأداة لتحقيق أهداف معينة سواء كانت سياسية أو ثقافية أو غيرها.

الهوامش:

1 إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006، ص44.

2 المرجع نفسه، صص 45، 46.

3 سعدون الساموك، الاستشراق و مناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المناهج للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى ، الأردن، 2010، ص13.

4 Nicolás Roser Nebot, La des-traducción del Corán: recurso sustitutivo de la traducción. El asunto de amr. Anaquel de Estudios Árabes, vol.21, 2010, p99.

5 فالح الحجية، الموجز في الشعر العربي ، مطبعة أوفسيت الميناء المكتبة الوطنية ، بغداد، 1985، ص313.

6 المرجع نفسه، ص317.

7 المرجع نفسه، ص318.

8 المرجع نفسه، ص 322.

9 محمد عباسة، الموشحات و الأزجال الأندلسية و أثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى ، الجزائر، 2012، ص32.

10 المرجع نفسه، ص63.

11 المرجع نفسه، ص134.

12 المرجع نفسه، ص135.

13 Emilio García Gómez. *El collar de la paloma*, Alianza Editorial, Madrid, 1997, p88.

14 حسين مؤنس، الشعر الأندلسي بحث في تطوره و خصائصه، ترجمه من الإسبانية عن Emilio Garcia Gomez، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1956، ص18.

15 المرجع نفسه، صص 25، 26.

16 المرجع نفسه، صص 39، 40.

17 المرجع نفسه، صص41، 59.

18 المرجع نفسه، ص76.

19 المرجع نفسه، ص87.

20 المرجع نفسه، ص111.

21 المرجع نفسه، ص26.

22 المرجع نفسه، ص121، 122.

23 المرجع نفسه، ص123.

24 Juan Valera, *Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia*, Madrid, 1867, p24.
http://oletsub.blogspot.com/search/label/poes%C3%ADa%20andalus%C3%AD

25 المرجع نفسه، ص86.

26 المرجع نفسه، ص15.

27 المرجع نفسه، صص6، 8.

28 محمد عباسة، مرجع سابق، ص134.

29 المرجع نفسه، ص33.

30 Javier Gómez Montero, Nuevas pautas de la traducción literaria. Cuadernos del Taller de traducción literaria de Kiel 2008.Visor libros, Madrid, 2008, p120.

31 محمد عباسة، مرجع سابق، ص273.

32 مصطفى داودي، الترجمة في الأندلس و دورها في النهضة الأوروبية الحديثة، دار التنوير الطبعة الأولى ، الجزائر، 2012، ص255.

33 المرجع نفسه، ص256.

34 محمد عباسة، مرجع سابق، ص383.

35 مصطفى داودي، مرجع سابق، ص258.

36 Emilio García Gómez، مرجع سابق، ص81.

37 Emilio García Gómez ، مرجع سابق، ص76.

38 مصطفى داودي، مرجع سابق، ص256.

39 المرجع نفسه، ص257.

40 المرجع نفسه، ص259، 260.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊